استنباط الاحكام الشرعية من خلال القصص القرآنية

ا. د محمد حسن علي مجيد الحلي
الاستاذ في الكلية الاسلامية الجامعة
في النجف الاشرف

مقدمة:

((دلالة القصة على الحكم الشرعي))

للقصص في القران الكريم دلالات مهمة على الاحكام الشرعية ، لما لها من دور اساس في عملية التغيير في المجتمع في الم ا تتضمنه من دروس و عبر تكشف عن الله في خلقه من خلال دعوة الانبياء للامم في توحيده و بناء دولة الحق و العدل الالهي ، كما تتضمن في طياتها احكاما ظاهرة او ضمنية غي الاحكام الشرعية التي تمثل القاعدة الاساس في حركة الانبياء و شرعية دعوتهم التي حددها الباري – عز وجل – و ما يتضمن من اهميه المعرفة بايات الاحمام من خلال قصص الانبياء بشكل خاص و لاسيما في القصص التي ذكرت النبي موسى (علية السلام) لانها من اطول القصص في القرأن الكريم و اكثرها و ضوحاو تكررا مما يدل على اهميتها و التي تتضمن الكثير من الاحكام الشرعية ، و علم الكلام و العقائد و اصول الدين و علم النفسير و غيرها مما يعين في فهم السنه المطهرة ، و لان الاحكام الشرعية هي من اهم علوم الدين، لانها تمثل النظام التشريعي للمجتمع الانسانية .

المبحث الاول : اهميه العلم بالاحكام الشرعية الاساسية و يشمل اقساط العلوم الشرعية الاتي :

١. علم الكلام و علم العقائد و علم اصول الدين.
٢. علم الكتاب العزيز ، علم التجويد و علم القراءة علم التفسير .
٣. علم الحديث لفهم السنه المطهرة ، و هو اهم بعد علوم القران الكريم .
٤. علم الفقة : و هو العلم بالاحكام االشرعية من ادلته التفصيلية .

و بهذا يمكن القول ان لكل موضوع يبحث فيه من عوارضه الذاتية و تعود اهمية و شرف العلم بشرف موضوعه ، و مما لا شك فيه ان معرفة الاحكام الشرعية هي من اشرف الاحكام لانها

تمثل النظام التشريعي للمجتمعات ، ويمكن بأختصار ايجاز اهمية هذا العلم بحسب ما ورد في الكتاب العزيز و السنة المطهرة .

قال تعالى (فلولا نفر من كل طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١)*

قال تعالى (يد الله مع الذين امنوا منكم و اتوا العلم درجات) (٢) *

و قال سبحانه (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٣) *

و بحسب ما ورد في التفسير انه ليس المراد من العلماء مطلق العلماء _ و ان كان يشملهم _ و لكن المراد الحقيقي منهم خصوص علماء الشريعة بأن من عرف الحلال و الحرام و احكامهما الصادرة منهما جزءا لا بد ان يكون اكثر خشية من الجاهل بالاحكام و التفقة هو تعلم الاحكام و اخذها من مصادرها ، و قد ورد في بعض المصادر ان رسول الله (ص) عندما كان يذهب الى الجهاد لم يكن يجبر كل مسلم ان يسير معه بل كان يبقى قسما منهم لتعليم العلوم الاسلامية ممن لا يستطيعون القتال ليعلموا اصحابهم المجاهدين عند رجوعهم من القتال (٤) لان معرفة الشريعة و احكامها تعد من اهم العلوم و ارفعها ، و لذلك يمكن الافادة منها في المجال القصصي في الدراسات القرانية و اللغوية و في كيفية الاستدلال على الاحكام الشرعية ، و في الدراسات القرانية و الفقهية من خلال دراسة نوع ادبي في القصة القرانية و دلالاتها على ان استنباط و دراسة الاحكام الشرعية قديم يعود الى العصر الاسلامي الاول و ان كتبا كثيرة الفت في هذا المجال فيها مجموعة من الاحكام العقائدية ، و ان شريعة خاتم الانبياء ٠ص) هي امتداد لشرائع الانبياء قبلة و مكملة لها ، اما تفسير تلك الايات فلكل قصة من القصص دلالاتها حسب طبيعة الموضوع و دعمه بالدليل الشرعي و النقلي و بالدلالة اللفظية، و من اهم المباحث و اشهرها كتاب (احكام القران) لمحمد بن السائب الكلبي و هو من اصحاب الامام الباقر (ع) و (احكام القران) لابي بكر الرازي (ت ٣٧٠ه) ، و (فقه القران) لقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ه) ، و (الجامع لاحكام القران) للقرطبي (ت ٩٧١ه) و غيرها الكثير ...على اننا سوف نحاول استنباط بعض الاحكام الشرعية من خلال قصص موسى (ع) لانها اكثرها ورودا في القران واكثرها في دلالاتها على الاحكام الشرعية .

دلالة القصة :

ان الكثير من قصص الانبياء في القران الكريم تكشف بيان حياتهم ومعاناتهم ، كما جاء مثلا في بيان حياة موسى و معاناته و نضاله من اجل ايصاله رسالته فقد كان بنو اسرائيل اذلاء تحت حكم الفراعنة ، و لكن قضت المشياة الالهية بتسليط الضعفاء على الاوياء و ابادة مليكهم [٥] ، و قد كشفت الاية المباركة ان فرعون قد علا في الارض ، و المراد بـــ(العلو) : الكبر و التكبر و الطغيان و الاستعلاء ، و هو سلوك مذموم ن و قد عده بعض الفقهاء انه من المعاصي الكبرى ، و قد ذم القران الكريم المتكبرين . و قال تعالى (قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فبها) [٦] و قال تعالى (الا ان ابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين) و قال تعالى (و ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون) .

و قد روي عن الرسول الله (ص) انه قال :-(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، و لا يدخل النار من كان في قلبه حبة ايمان)[٧] و في ذم الكبر انه نقل عن الامام الصادق (ع) ، قال (الكبر رداء الله ، فمن نازع الله شيئا من ذلك اكبه الله في النار) [٨] ، كما نجد في ايات اخرى كثيرة تكشف عن الارادة الالهية ان يكون المستضعف هو ،

الحاكم و يكون المستعلى هو المحكوم كفرعون و امثاله ، و هذا يقضي -عملية تغيير في بنية المجتمع تبدا من داخله ، قال تعالى (ونريد ان نمن على المستضعفين في الارض و نجعلهم ائمة و نجعلهم الوارثين) [٩]

حكم رضاعة الام لطفلها :-

قال تعالى مخاطبا ام موسى (و اوحينا الى ام موسى ان ترضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه في اليم و لا تخافي و لا تحزني ، فانا راده اليك و جاعلوه من المرسلين)[١٠]

دلالة القصة في مسألة الرضاعة :

لما امر فرعون بقتل كل طفل يولد حتى لا تتحقق نبوءة المنجمين بمولود منقذ للناس من بطش فرعون و طغيانه ، خافت ام موسى عله من القتل ان ابقيه عندها و ارضعيه و كانت مترددة في ذلك الهمها الله تعالى بالوحي التكويني بوجوب ارضاعه خلال هذه المده فرمته في اليم و ان الله سبحانه حافظه و راعيه و قد تحقق العدل الالهي ، ورجع الطفل الى احضان امه من البحر .

و هكذا فان للايات دلالتها في القصص القراني على الاحكام الشرعية ، ومن تلك الاحكام : حرمة الاستعلاء و التكبر على الاخرين ، قال تعالى في ذم الكبر و المتكبر في سورة الدخان (٢٠/٢١) (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين * و من فرعون انه كان عاليا من المسرفين) [١١] *

كما ان بعض قصص الانبياء تكشف عن حياتهم و سيرهم في الناس و سلوكه معهم _ كما جاء مثلا من بيان حياة موسى (ع) و معاناته و نضاله في تبليغ رسالة السماء ، حين كان بنو اسرائيل اذلاء تحت حكم الفراعنة ، و مشيئة الله و قضائه في نصرة الضعفاء على الاقوياء و ابادة ملكهم ، و قد كشفت الايات المباركة من ان فرعون قد علا في الارض و تكبر ، فالمراد ب(العلو) الاية الكريمة السابقة : الكبر و الاستعلاء ، و هو سلوك مذموم في البشر و قد عده بعض الفقهاء من المعاصي الكبيرة . كما ذم القران الكريم المتكبرين . قال تعالى (قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها) (الاعراف /١٣) ، قال تعالى (الا ان ابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين) (البقرة / ٣٤) [١٢] ، وقال تعالى (و ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون) ٠(البقرة / ١٤)

دلالة الاية الكريمة في الحكم الشرعي :

لقد دلت الاية من قولة تعالى (ان ارضعيه) على وجوب الرضاعة ، كما قيل في علم الاصول ان صيغة الفعل ظاهرة من الوجوب و بحسب حكم العقل ، الا ان اذا دل على دليل على الجواز ، و المعلوم شرعا و بحسب الدلالة القرانية ان مدة رضاعة الام لولدها سنتان ، قال تعالى (و الوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة * و على المولود له رزقهن و كسوتهن) [١٣] و الاية المباركة تشير الى ان الرضاعة من حق الام ولكنها ليست واجبة عليها ، و الدليل قوله تعالى (لمن اراد ان يتم الرضاعة) فالشرطية هنا واضحة في الدلالة على عدم الوجوب لكنها ضرورة للحفاظ على الطفل المولود ، لذلك نجد عددا كبيرا من الفقهاء يفتون بعدم وجوب الرضاعة اذا كان فيه الضرر المحتمل او القطعي ، لذا انتقل الحكم الشرعي في حق الام و انتقل من الجواز الى وجوب ترك الرضاعة من اجل الحفاظ على الطفل ، و انه سيكون تحت الرعاية الالهية قال تعالى (ان ارضعية فاذا خفت علية فالقية في اليم) [١٤] اذن فالرضاعة خلال الحولين الاولين من حق الام ، و لا يحق للاب اعطاء الطفل الى مرضعة اخرى خلالهما ، فكان من عدل الله سبحانه ارجاع موسى لامه و افاض من كرمه على ولدها ، ان جعله نبيا و من اولي العزم ، قال تعالى (انا رادوه اليك و جاعلوه من المرسلين) [١٥] .

و بعد استنباط دلالة الاية الكريمة على الحكم الشرعي الكتعلق بالرضاعة تبين ان الاية تدل على ان ارضاع الطفل ليس امرا لازما للام ، بل هو حق لها بقرينة قولة تعالىى (لمن اراد ان يتم الرضاعة) [١٦].

هذا اولا: و لكن يجوز التنازل عن هذا الحق برضى المرضعة بمقابل او بدونه .

ثانيا : ان مدة الرضاعة حولان كاملان لمن اراد اكمالها و لا يجري اي حكم بعد الحولين من نشر حرمة بين المرضعين او اثبات بنوة الطفل و والد الطفل و غير ذلك من الاحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع .

الاية الثالثة : في مسألة (رمي الطفل في اليم)

قال تعالى (و اوحينا الى امك ما وحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم في الساحل يأخذه عدو لي و عدو له * و القيت عليك محبة مني و لتصنع عل عيني) [١٧] *

دلالة الاية على حكم الشرعي

يمكن القول ان الاية الكريمة تتضمن حكماً شرعياً ، وذلك مما يستفاد منه في هذا الحكم الشرعي من فضله تعالى وحكمته وارادة هذا الكون من ارادته تعالى في تحقيق العدل الالهي وتغيير الامور لصالح الخلق ، ومعلوم ان الانسان العامل لابد ان يستفيد ممايحكم الله به ويقدره في الوجود ، لان افعاله واوامره كلها حسنة وفي مصلة خلقه . وهذه (اولها) (وثانيها) ان الغرض من وجودالقصة القرانية هي دروس وعبر في وجوب او حرمة او اباحة او استجاب او كراهية ، فالقصة القرانية تتضمن هذه المعاني وتتضمن احكاما شرعية فيها ومنها جواز الاختراق الامني للعدو ، وقد يصل الى حد الوجوب الشرعي وهذا يستفاد ايضا من قولة تعالى (فأقذفية في اليم في الساحل يأخذه عد لي وعدو له) ، وهذا الحكم يوضح نوعية الحكم الشرعي وبذلك فقد اخترق العزيز بقديه تعالى السلطة الفرعونية مع الاحتياطاتها حتى اوصل المولود الى قصر فرعون من حيث لا يعر حتى يحاسب ويؤدب هذا العبد الذي استعلى في الارض وادعى الالوهية ، وقد اكد هذا الاحتراق الامني مما لا اشكال فيه لدى العقلاء وعما يقررونه وقد اكد التنزيل الحكيم ذلك في مواجهة العدو على سبيل (الضربات الاستباقية) في اللغة المعاصرة ، او ماكانيخشى من العدو، وقال تعالى (واعدلهم استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو لله وعدوكم)[١٨] والاية المباركة تدل على قاعدتين من قواعد الحرب [١٩] الاولى : لزوم الاستعداد العسكري بكل الوانه من غيرتخصيص لوقت معين لمواجهة الاعداء والكفار وارهاب القلوبهم ، ايضا مماجاء في قضية موسى (ع) مع شعيب من قولة تعالى (اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين * على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممتعشرا فمن عندك * ومااريد ان اشق عليك * ستجدني ان شاء لله من الصالحين)[٢٠]

الثانية : تدل على ان الشيخ الكبير (نبي الله شعيب) اراد مجازاة موسى (ع) على فعله الحسن ، وهو سقي بناته الماء بعد ازدحام الرعاع على الماء ، وكانت المجازاة تزويجه من احدى ابنتيه ، بشرط ان يكون مهرها العمل لديه مان او عشر حجج (سنين) وقد وافق موسى (ع) على ذلك كانه مافعله شعيب ضمن المنطق العلقي والاجتماعي والشرعي ، فانه في عرض الزواج من احدى ابنتيه تخلص من كثير من الاشكالات ، لان النبي شعيب (ع) كان له ست او سبع بنات ووجود رجل غريب معهم من غير اي التزام اخلاقي او شرعي سيكون محل ربيه ، مع ايقاع الزواج رفعت كل تلك الاشكالات وصارت بقية البنات محام على موسى (ع) بعد الزواج .

دلالة الاية المباركة على الحكم الشرعي :

في هذه المرحلة او المقطع الذي حكى قصه موسى (ع) في منطقة (مدين) تتضمن حكماً شرعياً ، هذا جواز ان يكون المهر منفعه ما ، كالعمل مثلاً ، وعلى شرعية الاجازة ، فهي من الاصول العقلانية بين الناس حكم الشارع المقدس حدد ان تكون المنفعة في الاجازة محللة لا محرمة ...

ومن الاحكام المستفادة ايضاً من هذه الاية المباكة بولاية الاب على بناته ، فأنه لا يصح العقد الا بأذن ولي البنت الا في بعض الموارد التي تتنافى مع حقوق البنت او تتعارض مع ولاية الاب ، كأن يكون الزواج صالحاً والبنت راشداً ، فهنا لا يحق للاب منع الزواج قال الرسول (ص) (من جاءكم ترضون دينه وخلقة فزوجوه ، فا لا تفعلو تكون تكن فتنه وفساداً في الارض)

ثم ان المهر شرط في صحة العقد المبيح للاستمتاع بالزوجية وله الحق في الاستمتاع عند دفع المهور ، قال تعالى (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن) [٢١] فأنه مع تحقق النكاحوجب المهر قال محمد بن السالم : سألت جعفر بن محمد الصادق (ع) (متى يجب المهر ، فقال (اذا دخل الرجل بالمراة)[٢٢] ، قال السيد وقيل (للمراة الامتناع من التمكن قبل الدخول حتى تقبض المهر الا ان يكون المهر مؤجلاً ، فلا يجوز الامتناع ، وان حل الاجل)[٢٣] .

وجوب التعاون على البر والتقوى

الاية (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين)[٢٤] .

المبحث الاول : دلالة القصة :

تدل هذا الاية الشريفة على حدث مهم في حياة موسى (ع) مثل بداية مواجهة لفرعون وعصره والسبب انه دخل الى المدينة وقت المغرب ، وهو وقت تكون فيه الاسواق معطلة اذ يرجع الباعة الى مساكنهم ، ولذلك عبر القران (على حين غفلة من اهلها) ، وعند دخوله وجد اثنين من بني اسرائيل يقتتلان الاول مستضعف والاخر مصري قطبي ، كانت القوة له فستغاث الاسرائيلي بموسى بوصفحه احد الشخصيات البلاط الفرعوني العادلين والناصرين للمستضعفين . فنصره موسى ، ولشدة قوة موسى ضرب المصري بضربة واحدة فقتلة وقد اعبر القران الكريم عن ذلك (فوكزه موسى فقضى عليه) فأن الفاء هنا تدل على التعاقب في الفعللاوالحدث وتدل انه على الرغم من مدة حياة موسى في القصر الفرعوني ، الا انه لم يتأثر بطبيعة السياسة الفرعونية الظالمة التي تعيش على التكبر ، انما بقى موسى محافظاً على فطرته السليمة التي هي فطرة الله تعالى ، وهي فطرة العقل الذي يرفض الظلم والاستبداد والاستعلاء ، لذلك فأن موسى ما ان وجد استغلال المصري لصاحبه المستضعف وقف الى جانب الضعيف ونصره على المصري المستكبر.

المبحث الثاني

(دلالة القصة على الحكم الشرعي)

اول ماتدل علية الاية المباركة على اصل عقلاني تسالم عليه العقلاء وهو وجوب الاعانة على البر والتقوى ، ثانيا . حرمة الاستعانة على الاثم العدوان وهي تدخل تحت قاعدة الحسن والقبيح العقليين ، فأن العدوان قبيح عقلاً . واعانة المظلم حسن عقلاً ، لذلك نجد موسى (ع) تحرك بحكم العقل لنصرة المظلوم اليهودي عندما تبين له انه مستضعف مظلوم ، فنصرته هنا للمظلوم واجبة ، قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) [٢٥] بل ان موقف موسى (ع) يتناسب مع الحكم الشرعي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٢٦] حيث تدل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل الخيرية له على بقية الناس ، لانه مواز للايمان بالله تعالى وتؤكد روايات اهل البيت (عليهم السلام) انه من غير التعاون على البر والتقوى لا يصلح حال البرية فان المعروف من البر والصلاة والصوم والجهاد وبناء الدولة وتأسيسها وارجاع حقوق الناس من خلال الدولة هو من اعمال البر ، فلو تركت الامة هه الفريضة لعمهم البلاء . ففي حديث محمد بن عرفه قال (سمعت ابا الحسن) (ع) يقول (لتأمرون بالمعروف ونهوا عن المنكر ، او ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) [٢٧]وعن النبي (ص) لايزال الناس بخير مامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، تعاونوا على البر . فان لم يفعلوا ذلك نزعت عنهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم من ناصر في الارض ولا في السماء)[٢٨] وهنا نؤكد ان موقف موسى (ع) مع القطبي والاسرائيلي كان موقفاً عقلانياً ، وقد ثبت في علم الاصول ان كل ماحكم به العقل حكم به الشرع وهذا مانسميه بالمستقلات العقلية، فأن العقل لة استقلالية في باب تحديد الحسن من الافعال او قبحها ...

مبحث التقية

قال تعالى (وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى ، قال ياموسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرجاني لك من الناصحين)[٢٩]

ودلالة القصة هنا بعد قتل موسى القطبي خطأً ، وصل الخبر الى فرعون وجنوده ، امر فرعون قتل موسى اينما وجد ، لكنه من حسن حظ موسى (ع) انه كان واحدا من اصحاب القرار في القصر الفرعوني من يحب موسى ، وانه كان من رجال السلطة ، لكن كان في حقيقته من انصار (موسى)فأسرع واخبر موسى سرا بقرار القتل ، وكان هذا الرجل يخفي حبه لموسى تقية وهو يعمل في السلطة الفرعونية [٣٠] فعندما اخبره صاحبه الذي كان في سدة السلطة هرب من القتل متجها الى (مدين) فالتقى بالصدفة او بايجاء من الله تعالى بالنبي شعيب (ع) بعد ان قطع موسى مسافة طويلة ماشياً [٣١] حين اطمأن موسى لقول صاحبه الناصح له [٣٢] وقد جاء سرد هذه القصة في اخبار احد محبي موسى ممن كان يشتغل في القصر الفرعوني في القران الكريم قوله تعالى (وقال رجل مؤمن ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وكان كاذباً فعليه كذبه ، وان يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم ان الله لايهدي من هو مسرف كذاب) سورة غافر (٢٨)

دلالة القصة في حكم الفقه :.

تدل الاية الكريم على حكم التقية من حيث الرجل الذي اخبر موسى بنية فرعون بقتله . الذي كان يتظاهر بالولاء لفرعون وملائه ، ولكنه كان يخفي ولاءه ، وهذه هي التقية التي اباحها الشيعة في الاحوال الاضطرارية عند وقوع الخطر توقع وقوع البلاء فأنه بحكم العقل بدفع الضرر المحتمل او في الضرر المتيقن لذلك فأن القصة في هذه الاية المباركة حكماً شرعياً والا لماذا اخبر ذلك المصري باحتمال الحاق او اقرار قتله و وقد اكثر ذلك

قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من ال فرعون)

كما يدل قوله تعالى (الا ان تنفقوا منهم تقاه) وقوله تعالى (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) [٣٣]

اما حكم التقية في الروايات والسنة المطهرة فقد قال الامام ابو جعفر الباقر (ع) (انما جعل التقية ليحقن بها الدماء ، فاذا بلغ الدم فليس تقية)

اما حكم التقية في الرويات والسنة المطهرة فقد قال الامام ابو جعفر الباقر (ع) (انما جعل التقية ليحقن بها الدماء ، فاذا بلغ الدم فليس تقية) [٣٤] وقال الصادق (ع) (لا يسلم من تقية له) ، وقال (ع) لاحدهم (التقية ديني ودين ابائي) [٣٥] وعن هشام الكندي ،قال (سمعت ابا عبد الله الصادق (ع) يقول في حديث طويل له (الله ماعبد الله بشيء احب اليه من الخباء ، قلت وما الخباء ؟ ، قال له (التقية)[٣٦] ، ولكن التقية ليست دائما وفي كل حال ، انما هي خاضعة للظروف المكانية والزمانية وقد خضعت وحكمت بالاحكام التكليفية يقول الشيخ الانصاري : اما الكلام في حكمها التكليفي فهو ان التقية الواجب فيها ما كان لدفع الضرر وامثلته كثيرة [٣٧] وهذه التقية من الاحوال النظامية التي شرعها الاسلام حفظاً للنظام وتأليفاً بين الانام وانها ترجع الى القاعدة العقلية التي قررتها الشرائع السماوية وهي (تقديم الاهم على المهم) لذا فتكون التقية من القواعد العقلية والشرعية ولا ريب في جوازها بل انها من القواعد المسلم بها لدى الجميع والمتمكزة في اذهان ولا تحتاج الى اقامة البرهان ، لانها عرفت من صغريات قاعدة (تقديم الاهم على المهم) التي هي من القواعد الفطرية . [٣٨]

مبحث اخر في الاستنباط

اشكاليات اختلاط النساء بالرجال

ما جاء في الاية المباركة حول النبي موسى (ع) ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا تسقي حتى يصدر الرعاع وابونا شيخ كبير)[٣٩]

دلالة القصة التأريخية

لما خرج موسى (ع) من منطقته في مصر بعد قتل القبطي ودخل مدينة مدين وحل عندبئر فرأى رجالاً يسقون وبمعزل عنهم أمراتان تنتظران السقي لانهما لايحبذان الاختلاط بالرجال وهن من بنات الانبياء بنات النبي شعيب (ع) فلما رأى موسى هذا الموقف لم يعجبه لانه خلاف الاصول البشرية والعقلانية التي توجب احترام المرأة ، وعدم رغبتهما بالاختلاط بالرجال لانه ضد الاخلاق ، فقام بنفسه وسقى لهن الماء وللاعتذار عن حضورهن للسقي مع وجود الرجال . فأن (وابونا شيخ كبير) اي لا يستطيع مدافعة رعاع المزدحمين حول الماء [٤٠]

دلالة القصة على الحكم الشرعي

من الواضح ان وقوف بنات شعيب عن من المحتشدين هو الاعتزال عن الرجال والاحتياط من بنات نبي من الاختلاط بالرجال ، فحكاية حالهما في هذه القصة وموقفها من عدم السقي ومزاحمة الرجال . قال تعالى (وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهما امرأتين تذودان ..) ومعنى الذود اي اطرده)[٤١] قال الشاعر :

أبيت على سرب القوافي كأنما أذود بها سرباً من الوحش نزعا[٤٢]

قوله تعالى : (حتى يصدر الرعاع) الصدر عن الشيء الرجوع عنه .

اذن فالاية دلالة على اصل من الاصول الاجتماعية ، وهو ان الاصل في الشرع هو عد الاختلاط المراة بالرجال لانه خلاف الحشمة وحفظاً لكرامتها وحياتها وعدم خروجها من بيتها الا للصطرار مما يؤدي الى سقوط المرأة في حبائل الرجال ، كما ان القصة تتضمن حكماًاخر ملازم لهذا الحكم هو ان الضروريات تبيح المحضورات حين يكون الاب رجلاً كبير السن او مريضاً او ليس لديه ولد يساعده فقد يتغير هذا الحكم الشرعي بسبب تغير موضوعه وظروفه فقد يقدر حكم عدم خروج النساء او الاختلاط بالرجال لسبب قاهر . لذلك وجدنا ابنتي شعيب تخرجان مضطرتين لسقي الماء ولكننا وجدناهما تقفان على

مبعدة من الرجال دون الاختلاط بهم وهذا ماكشفت عنه القصة القرانية المباركة على لسان أبنتي شعيب فانعزالهما عن الرجال حال السقي وانتظارهما منه كان بمقتضى الاحتياط وهذا مما يوافق الشرع ..

وقد وردت الايات المباركة في مثل هذه الموارد في قوله تعالى :

(وقرن في بيوتكن ولا تتبرجن تبرج الجاهلية الاولى) [٤٣] فأن الاية الكريمة تدل على وجوب رعاية العفة من نساء النبي (ع) والمؤمنات فأن التبرج ملازم للظهور المحرم امام الاجانب كما كان في الجاهلية . كما هو موجود الكثير منه زماننا هذا ...

الهوامش والمصادر :

١- القرآن الكريم

٢- سورة فاطر ٣٦.

٣- سورة فاطر ٣٧.

٤- مجمع البيان – الطبرسي – ٦٥/٦.

٥- القصص القرآنية – جعفر البجاني ٢٥/٢ ط٢.

٦- سورة الأعراف /١٣.

٧- سورة البقرة /٣٤.

٨- سورة البقرة / ٣٤.

٩- الترمذي ٤٨٥/٧.

١٠- وسائل الشيعة /باب ٣ ص ٣٩٩.

١١- سورة القصص /٤.

١٢- سورة القصص /٧.

١٣- سورة البقرة /٧.

١٤- سورة القصص /٧.

١٥- سورة القصص /١٢.

١٦- تفسير ايات الأحكام – محمد باقر الأيرواني ٣٦٧/١.

١٧- سورة طه /٣٨.

١٨- سورة الأنفال /٦١.

١٩- دروس من ايات الأحكام – للأيرواني ٢٤٠/١.

٢٠- سورة القصص /٢٧.

٢١- الممتحنة /١٠.

٢٢- قلائد الدرر في بيان الأحكام بالأثر – الجزائري /٨.

٢٣- جامع الأحكام – للسيزواري /٤١٦.

٢٤- سورة القصص /١٤.
٢٥- سورة المائدة /٣.
٢٦- سورة ال عمران /١١٠.
٢٧- وسائل الشيعة /ج١/ب١/ص١١.
٢٨- تهذيب الأحكام ج١/١٨١ رقم ٣٧٣ – نقلاً من دروس تمهيدية في ايات الأحكام – للأيرواني.
٢٩- سورة القصص /٣٠.
٣٠- القصص القرآني / ج٢/٤٤.
٣١- راجع تفسير القصة في مجمع البيان /٤٣٥.
٣٢- القصص القرآني /٣٨.
٣٣- سورة النحل /١٠٦.
٣٤- الوسائل ج١١/ ص ٤٨٣.
٣٥- كتاب (الوسائل) المطبوع- نقلاعن (بداية المعارف الألهية في شرح عقائد الأمامية / ص٤٣).
٣٦- الوسائل ج٢/١٧١.
٣٧- رسائل في التقية /٣٢٠.
٣٨- مواهب الرحمن في تفسير القرآن – عبد الأعلى السبزواري/ ٣٣٨.
٣٩- سورة القصص .
٤٠- القصص القرآني / ج٢/٤٤- جعفر السمعاني .
٤١- مفردات الفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني – ص ٢٠٥ / مادة ذود .
٤٢- اعراب القرآن الكريم – محي الدين الدروس ح/٥/٨٨-٨٩.
٤٣- سورة فاطر /٣٧.